

## علم الكلام عند عبد الرزاق اللاهيجي دراسة في الإلهيات

م.د. رياض سحيب روضان  
كلية التربية الأساسية/ جامعة واسط

المقدمة:

يُعدُّ عالم الكلام الشيعي الإمامي عبد الرزاق بن علي بن الحسين اللاهيجي الجيلاني الفياض (كان مولوداً قبل 1015 – 1072 هـ = 1584 - 1641م) من أبرز الشخصيات الفلسفية والكلامية التي ظهرت معاصرة للفيلسوف الإسلامي صدر الدين الشيرازي ( 979 هـ - 1569م = 1050 هـ - 1640م)، والفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت (1596 – 1650م)، التي كان لها حضورٌ بيّنٌ في الساحة الكلامية التي مُلئتُ بمختلف الصراعات الفكرية الكلامية أبان العهد الصفوي ( من القرن الخامس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلاديين ) نسبة إلى صفى الدين ( 650 - 735 هـ = 1251 - 1336م)، الجد الأكبر للصفيين.

إن حكيمنا لم يحظَ - كغيره من علماء الكلام - بدراسة أكاديمية منهجية علمية مستفيضة، إذ لم تتسلطِ الأضواءُ عليه كثيراً في أقسامنا الفلسفية في العراق، فأرى من واجبي الأخلاقي والعلمي، المتمثل بدافع البحث، أن أعتز بعالم كلام كالفياض، تلبية لدواعي الإخلاص له، وللإستفادة العلمية، وتعريفًا بمقامه الفكري الكلامي، وتحقيقاً لهذه الأغراض، أثرت الكتابة عنه، متمثلة بهذا البحث المتواضع.

إنَّ الباحث المتأمل والمدقق في تاريخ الفكر الكلامي بعامة، والإمامي بخاصة، يجد أنَّ المتكلم الإمامي اللاهيجي كان من خيرة ممثلي مدرسة الإمامية على الصعيد الكلامي في الحقبة الزمنية المعاصرة للفيلسوف الشيرازي، إذ أنه عالمُ كلامٍ بارز في الوسط الكلامي، فموسوعيته في التأليف، وتحقيقه في المباني والنظريات الكلامية، كل ذلك مكنه من تصنيف مؤلفاته في شتى أنواع المعارف والعلوم، وهذا إنما يدل على عقلية علمية موضوعية كبيرة، يجد فيها الباحث فنوناً وألواناً من الثقافة، كالعقائد، والأخلاق وغير ذلك .

إنَّ الموضوع الذي اخترته مشروعاً للبحث، هو دراسة مبحث الإلهيات في دائرة علم الكلام عند عبد الرزاق الفياض اللاهيجي، بعدّه من المباحث الكلامية (جليل الكلام)، التي تناولها في تأليفاته القيمة، وبحثها بمنهجية، ودراسة تحليلية مستفيضة، تكشف عن مقدراته على فهم واستيعاب مطالب الأبحاث الإلهية

إنَّ عملية سير البحث تمثلت بقراءتي لنصوص اللاهيجي، فقامت بفرز الشواهد الكلامية في الإلهيات، تجمعت في نهاية القراءة مجموعة من النصوص تم تصنيفها على وفق عناوين أكبر، كشفت محاولة حكيمنا في تسليط الضوء على المطالب الكلامية في الإلهيات، وذلك نابع عنده من منظورين: (العقل والنقل). ولا ريب أن ميل الفياض نحو هذين المنظورين مرتبط بمحاولاته الكلامية العلمية الموضوعية، لتقديم فهم عام شمولي موحد، مؤسس على المنهج الكلامي العقلي والنقلي.

لقد كان اللاهيجي موفقاً في فهم المطالب الكلامية وفي تسلسل موضوعات بحثه الكلامي، فهو يتناول في الصّدارة معرفة الله - تعالى - وما يترتب على ذلك من أدلة وجوده، واحكام الوجود والماهية،

تَسْتَنْدُ إِلَى التَّصَوُّرَاتِ وَالتَّصَدِيقَاتِ وَالأَفْهَامِ البُرْهَانِيَّةِ البَقِيْنِيَّةِ فِي دَعْمِ حُلُولِهِ تَلْكَ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى التَّوَابِتِ الأَسَاسِيَّةِ للذِّينِ مُلَقَّحاً إِيَّاهَا بِالأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ ، لِيحَاوِلَ أَنْ يُوكِّدَ عُمُقَ الصَّلَةِ بَيْنَ المَوْضُوعَاتِ الَاعْتِقَادِيَّةِ وَالعَقْلِ .

لَقَدْ آتَّخَذْتُ مِنْ عِلْمِ الكَلَامِ ( دَرَاةً فِي الإلهيات بالمعنى الكلامي ) مَشْرُوعاً لِبَحْثِي هَذَا ، لِأَتَبَيَّنَ حَقِيقَةَ جُهْدِهِ فِي هَذَا المَيْدَانِ ، مُعْتَمِداً فِي دِرَاسَتِي عَلَى نُصُوصِهِ الَّتِي تَبَحَثُ فِي هَذَا الجَانِبِ ، فَضْلاً عَن أَهْمِ الدَّرَاسَاتِ وَالبَحُوثِ المَتَعَلِّقَةِ بِهِ ، لِفَهْمِ وَتَحْلِيلِ مَا تَعَسَّرَ عَلَيَّ فَهْمُهُ مِنْ نُصُوصِهِ ، فَاتَّخَذْتُ مِنَ المَنْظُورِ التَّارِيخِي التَّكَامُلِي الجَامِعِ بَيْنَ العَقْلِ وَالنَّفْلِ فِي إِطَارِ مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّرْكِيبِ ، مَنَهَجاً فِي دِرَاسَتِي هَذِهِ ، بَعْدَ أَنْ تَبَسَّرَ لِي الحُصُولُ عَلَى نُصُوصِهِ الكَلَامِيَّةِ القِيَمَةِ مِنْ مَطَّانٍ كُتِبَ ، فَجَعَلْتُهَا سَبِيلاً للوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَةِ آرَائِهِ ، وَاسْتِخْلَاصِ أَهْمِ النَّتَائِجِ مِنْهَا ، وَتَقْدِيمِهَا لِلقَارِئِ الفَاضِلِ . أَمَّا الِهْدَفُ مِنَ البَحْثِ ، فَقَدْ جَاءَ لِيبَيِّنَ مُحَاوَلَةَ اكْتِشَافِ أَلْمَعَالِمِ الكَلَامِيَّةِ الإلهيَّةِ لِمَنهَجِ الفياض اللاهيجي ، وَمُعَالَجَتِهَا عَلَى وَفْقِ مَنظُورِهِ الكَلَامِي .

لقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . تَتَأَوَّلْتُ فِي المَقْدَمَةِ خَارِطَةً مُصَغَّرَةً لِلبَحْثِ . أَمَّا المَبْحَثُ الأَوَّلُ ، فَتَكَلَّمْتُ فِيهِ عَن حَيَاةِ اللاهيجي ، وَسِيرَتِهِ العَلْمِيَّةِ ، وَتَضَمَّنَ ثَلَاثَةَ مَطَالِبٍ : الأَوَّلُ : حَيَاتِهِ وَسِيرَتُهُ العَلْمِيَّةِ . الثَّانِي : مَنَهَجُهُ فِي التَّأْلِيفِ وَأَنَارِهِ . وَأَمَّا المَبْحَثُ الثَّانِي ، فَتَتَأَوَّلُ البَاحِثُ فِيهِ الإلهيات بَيْنَ الكَلَامِ وَالفَلْسَفَةِ عِنْدَ اللاهيجي ، وَتَضَمَّنَ مَطَالِبِينَ : المَطْلَبُ الأَوَّلُ : وُجُودُ ( اللهُ ) - تَعَالَى - وَمَعْرِفَتُهُ عِنْدَ اللاهيجي . المَطْلَبُ الثَّانِي : آرَاؤُهُ الكَلَامِيَّةِ .

وَأَمَّا الخَاتِمَةُ ، فَاسْتَعْرَضْتُ فِيهَا خُلَاصَةً مُرَكَّزَةً لِأَهْمِ النَّتَائِجِ الكَلَامِيَّةِ الَّتِي تَوَصَّلْتُ إِلَيْهَا فِي البَحْثِ . وَآخِرَآ لَيْسَ لِي أَنْ أَدْعِي ، فِيمَا أَنْجَزْتُ ، الكَمَالَ ، فَإِنَّهُ لِلَّهِ - تَعَالَى - ، وَحْدَهُ . أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ لِي . كَمَا أَسْأَلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يَقْبَلَ هَذَا العَمَلَ بِأَحْسَنِ القَبُولِ ، وَالَّذِي أَمَلُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ طُلَّابُ الفَلْسَفَةِ وَالعِلْمِ ، وَكُلُّ مَنْ لَهُ أَهْتِمَامٌ بِالمَعْرِفَةِ . وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الأَطْهَارِ ، (( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ )) . يوسف : 76 .

### المَبْحَثُ الأَوَّلُ : حَيَاتِهِ وَسِيرَتِهِ العَلْمِيَّةِ :

#### المَطْلَبُ الأَوَّلُ : حَيَاتِهِ وَسِيرَتُهُ العَلْمِيَّةِ .

#### أ : وِلادَتُهُ وَنَشَأَتُهُ العَلْمِيَّةِ :

هو عبد الرزاق بن علي بن الحسين اللاهيجي الجيلاني القمي ، صهر صدر الدين الشيرازي ، كان مدرساً بمدينة ( قم ) ، وتوفي فيها (1) .

#### ب : أقوال العلماء والمفكرين في حقه:

لم تسلط الأضواء كثيراً على دراسة حياة اللاهيجي الفيلسوف المتكلم الإلهي الكبير وفلسفته ، فتاريخ الفلسفة الإسلامية قد بخس حق هذا الحكيم في تقديمه للساحة الفلسفية كدراسة منهجية علمية مستقيضة ، مع أنه عاش في مرحلة ازدهار الفكر الفلسفي الإسلامي ونضجه ، لاسيما في القرن الحادي عشر الهجري ، الموافق السادس عشر الميلادي . وأسأتحضر أقوال بعض من العلماء الأفاضل في ما يختص بشخصية اللاهيجي الفكرية والأخلاقية العرفانية .

1 : العلامة محمد باقر بن زين العابدين الموسوي الخوانساري: (1226 – 1313 هـ = 1811 – 1895 م)  
(م)(2):

لقد ذكر عبد الرزاق في موسوعته القِيمة (روضات الجنات ) ، إذ قال في مكانته العلمية : (( كان فاضلاً ، متكلماً ، وحكيماً متشرعاً ، وأديباً محققاً ، ولبيباً مدققاً ، بل منشئاً شاعراً ، ومنطقياً كابراً . له تصنيفات كثيرة في الحكمة والكلام ، محكمة المرام . )) (3) .

2 : السيد محسن الأمين العاملي ( 1282 – 1371 هـ = 1865 – 1952 م ) ( 4 ) :

ذكر الفيلسوف اللاهيجي في كتابه ( أعيان الشيعة ) فقال في حقه : (( المولى عبد الرزاق بن علي بن الحسين اللاهيجي الجيلاني القمي : العالم الفاضل الحكيم الشاعر المحقق المدقق المتأله . )) (5) .

#### ج : أساتذته ومنهم:

1 : الفيلسوف الإلهي المحقق السيد محمد باقر الداماد الحسيني الإسترابادي ( ؟ - 1041 هـ = ؟ - 1631 م )  
(6)

2 : الفيلسوف العارف المحقق محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي ( 979 – 1050 هـ = 1569 – 1640 م ) ( 7 ) ، فكأن اللاهيجي كان زميلاً للشيرازي في دراستهما على يد الداماد ، ثم استكمل مسيرته بعد وفاة الأستاذ ، مطوراً أجوبته الفلسفية ، ولاسيما في الإلهيات .

#### د : تلاميذه ومنهم :

1 : ولده حسن : صاحب كتاب ( جمال الصالحين ) في أعمال السنة والآداب المستحسنة ( 8 ) .  
2 : محمد سعيد بن محمد مفيد المعروف بالقاضي القمي ( ت 1103 هـ = 1691 م ) ( 9 ) .

#### المطلب الثاني:

**مُنْهَجُهُ فِي التَّأْلِيفِ وَآثَارُهُ** . إن الملاحظ على مؤلفات الفيض أنها كتبت في حقبة زمنية ظهر فيها الكثير من المدارس الكلامية ، فضلاً عن كونه تلميذاً لملا صدرا الشيرازي ، لذلك جاءت مؤلفاته غنية بالعلوم والمعارف الإلهية من أدلة وجود الله تعالى وصفاته ، وتثبيت آرائه في أصول الدين ، إلى غير ذلك ، فقد ذكر مؤلفاته الكلامية الإلهية العديد من العلماء والمحققين ، من بينها :

1 : التشريعات : في التوحيد والعدل ، والمحبة . مخطوط ( 10 ) .

2 : تعليقه على حاشية شمس الدين محمد بن أحمد الخصري الخفري ( ؟- 810 هـ = ؟- 1407م ) (11)  
على قسم الإلهيات من شرح علاء الدين علي بن محمد القوشجي ( ت 879 هـ = 1474م ) (12) لكتاب  
تجريد الاعتقاد للفيلسوف الإسلامي المحقق نصير الدين الطوسي ( 597 – 672 هـ = 1201 – 1274 م )  
. مخطوطة (13) .

3 : تعليقه على شرح المحقق نصير الدين الطوسي على كتاب ( الإشارات والتنبيهات ) للفيلسوف أبي علي  
الحسين بن عبد الله بن سينا ( 370 – 428 هـ = 980 – 1037م ) (14) . مخطوطة .

4 : حدوث العالم : رسالة (15) . مخطوطة .

5 : سرمايه ايمان : رسالة منتخبة من كتابه ( كُوهر مراد ) الآتي ذكره ، وهي في إثبات أصول العقائد  
بطريق البرهان . مطبوع (16) . 6 : شرح هياكل النور في حكمة الإشراق (17) . مخطوط . 7 : شوارق  
الإلهام في شرح تجريد الكلام (18) : مطبوع في جزأين ، بتحقيق وتقديم : الشيخ أكبر أسد علي ، تقديم  
 وإشراف : العلامة المحقق جعفر السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق - عليه السلام - ، ط 1 ، قم المقدسة ،  
إيران ، 1425 هـ = 1383 ش = 2005 م .

8 : الكلمات الطيبة في المحاكمة بين الداماد وملا صدرا (19) . مخطوطة .

9 : كُوهر مراد : بالفارسية ، وهو كتاب في علم الكلام . مطبوع (20) .

10 : مشارق الإلهام في شرح تجريد الكلام : وهو غير كتابه ( شوارق الإلهام ) (21) . مخطوط

11 : مختصر حاشية الشرح الجديد للتجريد (22) . مخطوط .

### المبحث الثاني : الإلهيات بين الكلام والفلسفة عند اللاهيجي

#### المطلب الأول : معرفة الله - تعالى - وأدلة وجوده وصفاته :

##### أ : تعريف علم الكلام :

بداية ينبغي ذكر تعريف اللاهيجي لعلم الكلام الذي يسهم كثيرا في فهم آرائه وأفكاره ونظريته في علم الكلام  
ومسائله ، فقد ذكر تعريفا لعلم الكلام ذكر فيه أن الإحاطة العلمية بالقوانين والقواعد الدينية المتعلقة بالاعتقاد  
يمكن للإنسان المسلم أن يكتسبها بواسطة الأدلة والبراهين العقلية اليقينية ، وفي هذا المعنى قال: (( العلم  
بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسب من أدلتها اليقينية )) (23) .

**ب : إثبات الخالق - تعالى - :**

تعد مسألة وجود واجب الوجود - جل شأنه - من أهم المباحث الكلامية عند عبد الرزاق اللاهيجي، ذلك لأن هذا الموضوع له علاقة بمعرفته وصفاته - سبحانه - ، فقد نال اهتمام عالم كلامنا من بين المفصل الرئيسية في منظومته الكلامية عامة ، والإلهية خاصة .

لقد قدم الفياض لنا دليلاً على وجود الله - تعالى - ، فنجده قد استدل بالمعلول على العلة ، فالعالم مخلوق ، والله - تعالى - الخالق ، وهذا هو قانون العلية الثابت عند الفلاسفة والمتكلمين ، فقال : (( في إثبات الصانع : أي في إثبات أن للعالم صانعاً واجب الوجود. والصانع هو الفاعل بالعلم والإرادة . وقد غلب على صانع العالم وهو الواجب الوجود تعالى. وإنما عدل منه إليه للإشارة إلى أنه إنما يمكن الاستدلال عليه تعالى من سبيل النظر في معلولاته التي هي مصنوعاته على طريقة الإن التي إنما تفيد وجود العلة من حيث هي علة وصانع ، لا من حيث ذاتها ، دون اللّم الذي هو الاستدلال من العلة على المعلول، حيث لا علة له تعالى لا لصيرورة المسألة حينئذ ضرورية، إذ ما وجب وجوده ؛ فهو موجود بالضرورة. وذلك لأن المسألة ليست هي أن الواجب الوجود موجود، بل هي أن من الموجود ما هو واجب وجوده . )) (24) .

وقد بين أن الله - تعالى - غني مطلق أي لا يحتاج إلى علة أخرى توجده أو تعتني به ، بل أن وجوده واجب الوجود لذاته ، لأنه لو كان الأمر عكس ذلك ، أي أنه - سبحانه - لو كان وجوده ممكناً ، لترتب على هذا القول الحكم بوجود علة خارجية ، وهذه العلة أيضاً ممكنة الوجود ، فلها علة أخرى ، وهكذا تستمر السلسلة إلى غير نهاية ، وهذا محال ، وفي هذا قال : (( أن الموجود منحصر في الواجب والممكن ، لأنه إذا اعتبر من حيث ذاته بلا اعتبار شيء آخر، فإما أن يجب له الوجود وهو الواجب ، أو لا يجب له الوجود وهو كذلك وظاهر أنه لا يجب له العدم حيث فرض موجوداً ، وهو الممكن . )) (25) .

**ج : صفات الله تعالى : وهي عين ذاته ، وسأختصر في بيانها لأتجنب الإسهاب، كما يأتي:**

1 / القدرة : لما كان الله تعالى واجب الوجود بذاته فيتربط على هذا القول أنه قادر مطلق غير عاجز عن فعل

الأشياء فقال في بيان ذلك: ((اتفق العقلاء كافة بوجود الحكم بكونه تعالى قادراً دون أن يكون عاجزاً)) (26)

2 / العلم : وهو صفة مطلقة لله تعالى أي أنها صفة ذات : (( اتفق جمهور العقلاء في أنه تعالى عالم بذاته

وبما سواه من معلولاته )) (27) .

3 / الحياة : وإذا كان واجب الوجود بذاته متصفاً القدرة والعلم فبالضرورة العقلية أنه حي ، فيقول في ذلك : ((

قد علم بالظاهر من الدين ويثبت بالكتاب والسنة وانعقد إجماع أهل الأديان على أن البارئ تعالى حي . وليس المراد من الحياة ما هو من الكيفيات النفسانية وهي صفة تقتضي الحس والحركة ، مشروطة باعتدال المزاج

... بل هي صفة تصحح الاتصاف بالعلم والقدرة ، والاتصاف بالعلم والقدرة يدل ضرورة على صحة الاتصاف بها )) (28) .

4 / الإرادة : قال في بيان معنى الإرادة : (( إن إرادة الله تعالى ليست عبارة عن القصد ، بل الحق في معنى كونه مريداً منه تعالى يعقل ذاته ويعقل نظام الخير الموجود في الكل )) (29) .

5 / السمع والبصر : قال في بيان هاتين الصفتين : (( قد علم بالضرورة من الدين ، وثبت في الكتاب والسنة ، وانهقد عليه إجماع أهل الأديان على أنه تعالى سميع بصير . )) (30) .

6 / الكلام : قال في توضيحه : (( إعلم أن لفظ الكلام حقيقة في هذا الملفوظ المسموع المركب من الأصوات والحروف . وقد يطلق ويراد به التكلم ، أعني القدرة على إلقاء الكلام بالمعنى الأول، وهذا المعنى الثاني هو صفة المتكلم قائم به ... وقد اخبر الأنبياء عليه السلام بأن الله تعالى متكلم ، وجاؤوا بكلام أخبروا أنه كلام الله تعالى ، وهو منقسم إلى إخبار وأمر ونهي ، إلى غير ذلك من أقسام الكلام ودلت المعجزة على صدقهم)) (31)

### المطلب الثاني : آراؤه الكلامية :

وتتضمن ما يلي :

أ : في الأمور العامة ( الوجود والماهية ) والقول بأصالة الوجود واعتبارية الماهية :

قبل الدخول في صلب الموضوع ، لابد من مقدمة تمهيدية توضح أهمية العقل في مباحث الوجود في المنظومة الفلسفية والكلامية عند فيلسوفنا عبد الرزاق ، نستكمل بها مهادت البحث.

يُعد العقل أهم قوى النفس الإنسانية في الاستدلال على وجود (الله) - تعالى - ، والمرتكز الأساس ، والمقدس الديني ، والثابت البشري ، إذ يعترف بمكانته وقديسيته الوجودية كل من يحترم إنسانيته التي شرفه الخالق - جل وعلا - بها على جميع مخلوقات عالم الإمكان ، فالعقل يعد الركيزة الأولى التي اعتمدها الأنبياء والرسل (عليهم السلام) في الدعوة إلى (الله) - تعالى - ، على اختلاف شرائعهم ومناهجهم ، كما جاء ذلك على لسان إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، في حوار مع قومه بخصوص عبادة الأصنام ، وذلك في قوله - سبحانه : (( قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ \* أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ )) الأنبياء / 66 - 67 . فمن خلال هذه الآية الشريفة وغيرها ، يُعطي القرآن الكريم دلالة واضحة المعالم على

إعطاء العقل مجالاً أوسع ، ودوراً مؤثراً ، وأهمية بالغة في تشييد المعارف والحقائق الدينية وبنائها (32) .

إن مصطلح الوجود ، عند الفياض ، لا يمكن تعريفه تعريفاً حقيقياً بجنس وفصل ، ولا بحد أو رسم (\*) وإنما يقع تعريفه بالاشتراك اللفظي كإطلاقه على ذات الشيء وحقيقته وبهذا المعنى يكون منافياً لمفهوم العدم ، وأيضاً يكون مستغنياً عن غيره في وجوده ، وهو واجب الوجود بذاته - تعالى - ، وفي بيان

معنى الوجود يقول : (( إنه بديهي التصور ، فلا يجوز أن يعرف إلا تعريفاً لفظياً )) (33) . وحينما يتعرض عبد الرزاق لمصطلح حقيقة الوجود في بيان تعريفه بالاشتراك اللفظي فإنما يقصد به الاتي :

1 : حقيقة الوجود في مقابل العدم ، فتشمل الواجب والممكن على حد سواء .

2 : حقيقة الوجود المساوقة لواجب الوجود ، في مقابل ممكن الوجود . وهذا يعني أن الوجود ينقسم إلى قسمين : واجب الوجود وممكن الوجود .

ثم يبين اللاهيجي أن الذات الممكنة إن كانت ثابتة في عالم الإمكان في موجودة ، وإذا لم تكن كذلك لا يكون لها نصيب من الوجود ، فقال : (( وأما الوجود والعدم فيعرفان بثبوت العين ونفي العين )) (34) .

إن تأثر اللاهيجي بأستاذه الشيرازي بيّن في القول بأصالة الوجود واعتبارية الماهية ، حينما شرح قول الفيلسوف نصير الدين الطوسي في زيادة الوجود على الماهية : (( فيغاير الماهية ، وإلا اتحدت الماهيات أو لم تنحصر أجزاءها ، ولانفكاكهما تعقلاً ، ولتحقق الإمكان ... )) (35) . فيقرر أنّ الماهية لاحقة على الوجود ، إذ يقول : (( إنَّ هذا الوجود العام البديهي الذي قد ثبتت بدايته واشتراكه معنى ... زائد على الماهية في جميع الموجودات ، سواء كان واجباً أو ممكناً . )) (36) .

ب : الشئئية تساوq الوجود :

وقد ذهب اللاهيجي تبعاً لأستاذه الشيرازي، ومن قبله الطوسي، إلى أنّ الشئئية تتساوق مع الوجود. والمساوقة ، عند اللاهيجي، تعني الاتحاد في الوجود الذهني، والتساوي (\*\* في الوجود الخارجي ، أما الوجود الأول (الوجود الذهني)، فيكون الوجود والشئئية مترادفين في اللفظ ، وأما الثاني (الوجود الخارجي) فيكونان متساويين في المصداق، إذ يقول: (( إنَّ المعدوم ليس بشيء ، وأن الشئئية مساوقة للوجود ، بمعنى أنّ كل موجود شيء، وبالعكس... ولفظ المساوقة يستعمل فيما يعم الاتحاد في المفهوم، فيكون اللفظان مترادفين، والمساواة في الصدق، فيكونان متساويين. )) (37).

وليس هنا موضعٌ للاستزادة ، لذلك سأكتفي بهذا القدر من النصوص للفيلسوف اللاهيجي، الذي يُعدُّ بحق حكيماً عرفانياً بعد أستاذه صدر الدين الشيرازي، فهو بحاجة إلى كثير من الدراسات العلمية المستفيضة في أقسامنا الفلسفية في العراق .

### الخاتمة :

بعد هذه الرحلة الموجزة في المنظومة الكلامية للفياض اللاهيجي ، أود تسجيل خلاصة مركزة لأهم النتائج التي تضمنها البحث :

1 : كانت للاهيجي معرفة كلامية في كيفية الاستدلال الكلامي على إثبات أصالة الوجود واعتبارية الماهية في الفكر الكلامي الإمامي ، مما دعت تلك المعرفة إلى صياغة نصوصه على وفق المصطلحات الكلامية الرائجة آنذاك في عصره .

2 : لقد كانت أفكار عبد الرزاق اللاهيجي الكلامية وليدة عصره، وهذا إنما يدل على سعة معرفته واطلاعه على الأفكار الكلامية السائدة في عصره .

3 : لقد حاول الفياض أن يثبت أدلته وآراءه في معرفة الله - تعالى - وأدلة وجوده وصفاته ، مما يدل على محاولته الجادة في التوفيق بين علم الكلام والفلسفة من جهة ، وبين معطيات الشريعة الإسلامية وعلم الكلام من جهة أخرى .

#### الهوامش :

(1) ينظر في ترجمته : الطهراني ، محمد محسن آغا بزرك ، طبقات أعلام الشيعة ، ج 8 ، دار إحياء التراث العربي ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 1430 هـ = 2009 م ، ص 319 .

(2) والزركلي ، خير الدين ، قاموس الأعلام ، ج 3 ، دار العلم للملايين ، ط 5 ، بيروت ، لبنان ، 1980 م ، ص 352.

(3) والخوانساري ، محمد باقر بن زين العابدين بن جعفر الموسوي ، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، ج 4 ، الدار الإسلامية ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 1411 هـ = 1991 م ، ص 192 - 194.

(4) والقمي ، الشيخ عباس ، الكنى والألقاب ، ج 3 ، تقديم : محمد هادي الأميني ( معاصر ) ، مكتبة الصدر ، ( د.ط ) ، طهران ، إيران ، ( د.ت ) ، ص 36 - 37 .

(5) والطهراني ، آغا بزرك ، الذريعة ، ج 14 ، ص 238 .

(6) والأمين ، السيد محسن بن عبد الكريم ، أعيان الشيعة ، ج 7 ، حققه وأخرجه : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ( ب.ت ) ، ص 470 - 471 .

(7) والحر العاملي ، محمد بن الحسن ، أمل الأمل ، ج 2 ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، مكتبة الأندلس ، شارع المتنبّي ، بغداد ، ( ب.ت ) ، ص 148 .

(8) والخوانساري ، السيد أبو القاسم ، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، ج 11 ، ط 5 ، ( لا يوجد مكان النشر والطبع ) ، 1413 هـ = 1992 م ، ص 16 .

(9) والبغدادي الباباني ، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم ، هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ( ب.ت ) ، ص 567 .

(10) وكحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، ج 5 ، ص 218 .

(11) والبغدادي ، إسماعيل باشا ، إيضاح المكنون ، ج 2 ، تصحيح : محمد شرف الدين بالتقيا ، ورفعت بيلكه الكليسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ( ب.ت ) ، ص 59 .



- (12) ينظر في ترجمته : الزركلي ، خير الدين ، قاموس الأعلام ، ج 6 ، ص 49 .
- (13) وكحالة ، عمر ، معجم المؤلفين ، ج 9 ، ص 87 .
- (14) الخوانساري ، محمد باقر ، روضات الجنات ، ج 4 ، ص 192 .
- (15) ينظر في ترجمته : الزركلي ، خير الدين ، المرجع السابق ، ج 5 ، ص 287 .
- (16) الأمين ، السيد محسن ، أعيان الشيعة ، ج 7 ، ص 470 .
- (17) ينظر في ترجمته : الزركلي ، خير الدين ، المرجع السابق ، ج 6 ، ص 272 .
- (18) ينظر في ترجمته : المرجع نفسه ، ص 193 .
- (19) ينظر في ترجمته : الخوانساري ، محمد باقر ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 193 . ( لم أقف على سنتي ولادته ووفاته ) .
- (20) ينظر في ترجمته : القمي ، عباس بن محمد رضا ، الكنى والألقاب ، ج 3 ، ص 52 - 53 .
- (21) والطهراني ، آغا بزرك محمد محسن بن علي بن محمد رضا ، الذريعة ، ج 1 ، ص 417 ، وص 436 . والخوانساري ، محمد باقر ، المرجع السابق ، ص 10-12 .
- (22) ينظر : الطهراني ، آغا بزرك ، الذريعة ، ج 4 ، ص 190 .
- (23) وزاده ، الشيخ أكبر أسد علي ، في مقدمته وتحقيقه على كتاب الفيلسوف عبد الرزاق اللاهيجي ( شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام ) ، ج 1 ، تقديم وإشراف : العلامة المحقق جعفر السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق - عليه السلام - ، ط 1 ، قم ، 1425 هـ = 1383 ش = 2005 م ، ص 25 .
- (24) ينظر في ترجمته : كحالة ، عمر ، معجم المؤلفين ، ج 9 ، ص 282 .
- (25) ينظر في ترجمته : المرجع نفسه ، ج 7 ، ص 227 . والزركلي ، خير الدين ، قاموس الأعلام ، ج 5 ، ص 9 . والقمي ، الشيخ عباس ، الكنى والألقاب ، ج 3 ، ص 94 - 96 .
- (26) ينظر : زاده ، الشيخ أكبر أسد علي ، في مقدمته وتحقيقه على كتاب الفيلسوف عبد الرزاق اللاهيجي ( شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام ) ، ج 1 ، ص 25 .
- (27) ينظر : المرجع نفسه ، ص 25 .
- (28) ينظر : الطهراني ، آغا بزرك ، المرجع السابق ، ج 6 ، ص 294 .
- (29) ( سرمايه ) كلمة فارسية تعني : مبدأ ، وأصل . يراجع : التونجي ، د. محمد ، المعجم الذهبي : ( فارسي - عربي ) ، دار العلم للملايين ، ط 1 ، بيروت ، 1969 م ، ص 345 ( مادة : سرمايه ) . ومعنى كتاب الفيلسوف اللاهيجي ( كَوهر مراد ) : أصل الإيمان .
- (30) وينظر : زاده ، الشيخ أكبر أسد علي ، المرجع السابق ، ص 25 . والخوانساري ، محمد باقر ، روضات الجنات ، ج 4 ، ص 192 . والقمي ، الشيخ عباس ، الكنى والألقاب ، ج 3 ، ص 36 .
- (31) ينظر : زاده ، الشيخ أكبر أسد علي ، المرجع نفسه ، ص 25 . والطهراني ، آغا بزرك ، المرجع السابق ، ج 14 ، ص 238 . والقمي ، الشيخ عباس ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص 36 . وكتاب ( هياكل النور ) للفيلسوف العارف أبي الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك شهاب الدين السهروردي الحلبي ( 549 - 587 هـ = 1154 - 1191 م ) .

(32) ينظر : الخوانساري ، محمد باقر ، روضات الجنات ، ج 4 ، ص 192 . ينظر : زاده ، الشيخ أكبر أسد علي ، في مقدمته وتحقيقه على كتاب الفيلسوف عبد الرزاق اللاهيجي ( شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام ) ، ص 25 . ( كُوهر ) كلمة فارسية تعني : لؤلؤ ، وحجر كريم ، وأصل . يراجع : التونجي ، د. محمد ، المعجم الذهبي ، ص 517 ( مادة : كُوهر ) .

وينظر : زاده ، الشيخ أكبر أسد علي ، المرجع السابق ، ص 25 .

والخوانساري ، محمد باقر ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 192 .

والقمي ، الشيخ عباس ، الكنى والألقاب ، ج 3 ، ص 36 .

والزركلي ، خير الدين ، قاموس الأعلام ، ج 7 ، ص 176 .

وكحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، ج 12 ، ص 173 – 174 .

( ) ينظر : زاده ، الشيخ أكبر أسد علي ، المرجع السابق ، ص 25 .

والطهراني ، آغا بزرك ، الذريعة ، ج 21 ، ص 32 .

والخوانساري ، محمد باقر ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 192 .

(22) ينظر : زاده ، الشيخ أكبر أسد علي ، المرجع السابق ، ص 25 . الشرح الجديد على ( كتاب تجريد الاعتقاد للفيلسوف نصير الدين

الطوسي ) ، إنما هو لعلاء الدين علي بن محمد القوشجي ، أما الشرح القديم فهو لأبي التثاء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ، المعروف بشمس الدين الأصفهاني ( 674 – 749 هـ = 1275 أو 1276 – 1349 م ) .

ينظر : المرجع نفسه ، ص 13 – 14 . إنَّ هذين الشرحين المهمَّين لم تسلط الأضواء الأكاديمية عليهما ، إذ بهما حاجة لدراسة علمية مستفيضة في أسامنا الفلسفية العراقية .

(23) اللاهيجي ، عبد الرزاق ، شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام ، ج 1 ، ص 45 .

(24) المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 49 .

(25) المصدر نفسه ، ص 58 . وللاستزادة يراجع : المصدر نفسه ، ص 52 وما بعدها .

(26) المصدر نفسه ، ص 80 – 81 .

(27) المصدر نفسه ، ص 119 .

(28) المصدر نفسه ، ص 288 – 289 .

(29) المصدر نفسه ، ص 305 .

(30) المصدر نفسه ، ص 311 .

(31) المصدر نفسه ، ص 317 .

(32) ينظر : الحيدري ، السيد كمال ، الفلسفة : شرح كتاب الأسفار الأربعة (الإلهيات بالمعنى الأعم) ، تقريراً لأبحاث السيد كمال الحيدري ،

ج 1 ، بقلم : الشيخ قيصر التميمي ، المراجعة اللغوية : عبد الرضا افتخاري ، دار فراق ، ط 1 ، إيران ، 1429 هـ = 2008 م ، ص 7 .

(\*) الحد والرسم : مصطلحان منطقيان متعلقان بمبحث التعريف ، وكل منهما ينقسم إلى تام وناقص . فالحد التام يتركب من جنس وفصل قريبين كتعريف الإنسان بالحيوان ناطق . أما الحد الناقص فيكون بالفصل القريب وحده ، أو به وبالجنس البعيد كتعريف الإنسان بالجسم الناطق . أما الرسم فهو مقابل للحد ، وهو قسمان أيضاً : تام وناقص . فالأول ما يتركب من جنس قريب وخاصة كتعريف الإنسان بالحيوان الضاحك . والناقص ما يكون بالخاصة وحدها ، أو بها وبالجنس البعيد كتعريف الإنسان بالضاحك أو بالجسم الضاحك ، أو بأعراض تختص جملتها بحقيقة

واحدة كتعريف الإنسان بأنه ماشٍ على قدميه ، عريض الأظفار ، مستقيم القامة ونحو ذلك . ينظر : صليبا ، د. جميل ، المعجم الفلسفي ، ج 1 ، ص 447 ( مادة : الحد ) ، وص 615 ( مادة : الرسم ) .

(33) اللاهيجي ، عبد الرزاق ، شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام ، ج 1 ، ص 99 . وهذا يعني أنّ الوجود لما لم يكن محتاجاً إلى تعريف ، وهو بديهي ، صار موضوعاً للعلم الإلهي .

(34) المصدر نفسه ، ص 102 .

(35) اللاهيجي ، عبد الرزاق ، شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام ، ج1، ص 145 .

(36) المصدر نفسه ، ص 146 . وله نص آخر في ذات المعنى ، قائلاً : (( انه لو لم يكن الوجود زائداً على الماهيات ، بالمعنى المذكور ، لكان إما عينها أو جزءاً لها ، وكلاهما محالان . )) . المصدر نفسه ، ص 147 .

(\*\*) المساواة هي عبارة عن اتفاق الشئيين في الكمية ، كما أن المشابهة اتفاقهما في الكيفية . ومعنى الاتفاق في الكمية أن أحد الشئيين يمكن أن يستبدل بالآخر دون زيادة أو نقصان كما في المعادلة الرياضية : ب = ج ، التي يكون فيها الشئان المتساويان شيئاً واحداً ، أو كما في المعادلة الأخرى التي تتغير قيمة وحداتها من غير أن يحصل تغيرٌ في مساواة طرفيها ، مثل: (ب + ج) = 2 = 2ب + 2ج + ج . ويقال للشكليين أنهما متساويان هندسياً إذا كان أحدهما ينطبق على الآخر انطباقاً تاماً ، ويسمى ذلك بالتطابق ، أما اتفاق الشكلين في قياس واحد فيسمى بالتكافؤ . ولمصطلح المساواة عند المناطقة ثلاث حالات :

أ – صدق كل من المفهومين على جميع ما يصدق عليه الآخر ، فالإنسان والحيوان والناطق متساويان .

ب – القضيتان المتساويتان هما اللتان يكون بينهما تضمن متبادل .

ج – الصنفان المتساويان هما اللذان يكون كل منهما مشتملاً على الآخر ، وإشارة المساواة في القضايا المنطقية والرياضية هي : = . ينظر : صليبا ، د. جميل ، المعجم الفلسفي ، ج 2 ، ص 367 ( مادة : المساواة ) .

قسم علم الكلام في مجمع البحوث الإسلامية ، شرح المصطلحات الفلسفية ، ط 1 ، مشهد ، إيران ، 1414 هـ = 1994م ، ص 366 – 367 ( مادة : المساواة ) .

(37) اللاهيجي ، عبد الرزاق ، شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام ، ج1، ص 232 .

#### ثبت المصادر والمراجع :

- أ -

- الأمين ، السيد محسن بن عبد الكريم ( 1282- 1371 هـ = 1865- 1952م ) :

\* أعيان الشيعة ، حققه وأخرجه : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، (ب.ت) ،

- ب -

- البغدادي الباباني ، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم (ت 1339 هـ = 1920م) :

\* إيضاح المكنون ، تصحيح : محمد شرف الدين بالتقيا ، ورفعت بيلكه الكليسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ب.ت) .

\* هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، (ب.ت) .

- ت -

- التونجي ، د. محمد ( معاصر ) :

\* المعجم الذهبي : ( فارسي - عربي ) ، دار العلم للملايين ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 1969 م .

- ج -

- الحر العاملي ، محمد بن الحسن ( 1033- 1104 هـ = 1623- 1692م ) :

\* أمل الأمل ، تحقيق : أحمد الحسيني ، مكتبة الأندلس ، شارع المتنبي ، بغداد ، (ب.ت) .

- الحيدري ، السيد كمال ( معاصر ) :

- \* الفلسفة : شرح كتاب الأسفار الأربعة (الإلهيات بالمعنى الأعم) ، تقريراً لأبحاث السيد كمال الحيدري ، ج 1 ، بقلم : الشيخ قيصر التميمي ،  
المراجعة اللغوية : عبد الرضا افتخاري ، دار فراق ، ط 1 ، إيران ، 1429 هـ = 2008 م - خ -  
- الخوني ، أبو القاسم الموسوي ( 1317- 1413 هـ = 1899- 1992 م ) :  
\* معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، ط 5 ، ( لا يوجد مكان النشر والطبع ) ، 1413 هـ = 1992 م .  
- الخوانساري ، محمد باقر بن زين العابدين بن جعفر الموسوي (1226- 1313 هـ = 1811 - 1895 م ) :  
\* روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، الدار الإسلامية ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 1411 هـ = 1991 م .  
- ز -  
- زاده ، أكبر أسد علي ( معاصر ) :  
\* في مقدمته وتحقيقه على كتاب الفيلسوف عبد الرزاق اللاهيجي ( شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام ) ، تقديم وإشراف : المحقق جعفر  
السبحاني ، مؤسسة الإمام الصادق - عليه السلام - ، ط 1 ، قم المقدسة ، إيران ، 1425 هـ = 1383 ش = 2005 م .  
- الزركلي ، خير الدين بن محمود دمشقي ( 1310 - 1396 هـ = 1893 - 1976 م ) :  
\* قاموس الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط 5 ، بيروت ، لبنان ، 1980 م .  
- ط -  
- الطهراني ، محمد محسن آغا بزرك ، ( 1293- 1389 هـ = 1876- 1970 م ) :  
\* طبقات أعلام الشيعة ، دار إحياء التراث العربي ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 1430 هـ = 2009 م .  
- ق -  
- قسم علم الكلام في مجمع البحوث الإسلامية ( معاصر ) :  
\* شرح المصطلحات الفلسفية ، ط 1 ، مشهد المقدسة ، إيران ، 1414 هـ = 1994 م .  
- القمي ، عباس بن محمد رضا ( 1294 - 1359 هـ = 1877 - 1940 م ) :  
\* الكنى والألقاب ، تقديم : محمد هادي الأميني ( معاصر ) ، مكتبة الصدر ، ( د.ط ) ، طهران ، إيران ، ( د.ت ) .  
- ك -  
- كحالة ، عمر رضا ( 1323 - 1408 هـ = 1905 - 1987 م ) :  
\* معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى ، ودار إحياء التراث العربي ، ( د.ط ) ، بيروت ، لبنان ، ( د.ت ) .  
- ل -  
- اللاهيجي ، عبد الرزاق :  
\* شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام ، تحقيق وتقديم : أكبر أسد علي زاده ( معاصر ) : تقديم وإشراف : جعفر السبحاني ( معاصر ) ،  
مؤسسة الإمام الصادق - عليه السلام - ، ط 1 ، قم المقدسة ، إيران ، 1425 هـ = 1383 ش = 2005 م .